أ.براهيمي طارق

جامعة ورقلة

# راهن الفعل الفلسفي في المجتمع الجزائري (المفهوم القيمي كنموذجا)

**مقدمة :**

تعد الجامعة إحدى مؤسسات التعليم والتنشئة في المجتمع ،وأعلى درجات الهرم في نظام التربية ، غير أنها تعيش اليوم إشكالات عدة ، تصب في مجملها في خانة : الأزمة !، ولعل ذالك نابع عن عدة عوامل ، بعضها ناتج من داخلها كعملية تطور ونمو ذاتي، سواء وفق وظائفها أو بنيتها التنظيمية، والبعض الآخر بفعل التأثير الخارجي عليها من خلال استجابتها للتغيرات والاحتياجات الاجتماعية للمجتمع خارجها.

ومع التطورات والتغيرات التي شهدتها " الجامعة " كمفهوم وتنظيم، اكتسبت – مع مرور الزمن – مجموعة من السمات فهي مكان الامتياز العقلي وتثقيف الفكر، والمعرفة الموضوعية، كما أنها مكان لإنتاج المعرفة لذاتها ونقلها لمن في إمكانهم استيعابها والاستفادة منها، ولقد أضحت هذه السمات من محددات هوية الجامعة احتفظت بها كالجينات الوراثية، كما إنها تشكل المنطق الداخلي للجامعة كفكرة[1].

إلا أن هناك من الدراسات والأبحاث والتقارير التي تؤكد على ظهور بوادر ضعف مكانة الجامعة في المجتمع، وافتقادها لهويتها التي عرفت بها، إلى حد يصل إلى الزعم بأنها فقدت دورها القيادي في المجتمع.

تسعى الدراسة الحالية للتركيز واقع : الجامعة والهوية، وفق منهجية تقوم على التحليل الفلسفي لمفهوم الجامعة ومسار تطور هذا المفهوم، وأسلوب تعاملنا معه، وذلك من خلال:

- تطور مفهوم الجامعة.
- راهن الجامعة .
- التوصيات والاقتراحات .

**مشكلة الدراسة:**

ونستنتج مما سبق بأننا أمام مفارقة، فعلى الرغم من نجاح الجامعة كمؤسسة في الاستمرار والبقاء، بل في اكتساب مزيدا من الاهتمام، والذي تمثل في التوسع في هذا النوع من التعليم، واندفاع القطاع الخاص ليشارك فيه، وأيضا تمثل في تزايد الإقبال على الالتحاق بهذه المؤسسات، إلا أن هناك من المؤشرات ما يؤكد على أنها فقدت جانبا من هويتها كمؤسسة لإنتاج ونقل المعرفة وإشاعة المناخ العلمي في المجتمع، من خلال ترسيخ المنهج العلمي كموجه للسلوك الانساني.

أين الجامعة من كل هذا ؟ ما مستقبل الجامعة من الراهن ؟

لنبحث الآن في أغوار جدلية الوجود والمطابقة / الجامعة والهوية أنموذجا .

**أهمية الدراسة:**

يؤكد على أهمية تناول هذه القضية بالبحث في الوقت الراهن، الحاجة إلى تخليص الجامعة من أزمتها، حتى يمكنها أن تشارك بفعالية في تخطي المجتمع الجزائري إلى مرحلة تاريخية جديدة نشهد فيها تحولين عظيمين، أحدهما نابع من الداخل، والآخر مفروض من الخارج.[2]

في ضوء هذا التحدي يحتاج مجتمعنا لإثبات الذات في ظل الصراع الحضاري، وهذا يحتاج بدوره إلى الاحتفاظ بإدراكنا، لأنه أداة رؤيتنا للذات وللآخر، كما يحتاج مجتمعنا إلى ضرورة توافر الإبداع الوطني، الذي يختصر لحظات الوفاق بين تراثنا ومستحدثات عصرنا، وكيف نحول هذا الوفاق إلى نسيج من الفكر، يحكمه مسلمات ومنطلقات متفق عليها، للتغلب على ما قد يبدو لدينا من صراع فكري ما بين حداثيين وتراثيين، ومجددين ومحافظين، ذلك الصراع الذي استنفذ جهدا من طاقتنا الفكرية وأثر على مسيرة التعليم الجامعي خلال القرن العشرين.

## المبحث الأول: مفهوم الجامعة:

### ❖ التعليم العالي ونشأته :

### ❖ تعريف التعليم العالي :

أخذت كلمة جامعة من كلمة Universtas والتي تعني الاتحاد أو التجمع الذي يضم أقوى الأسر نفوذا في المجال السياسي في المدينة من أجل ممارسة السلطة .[3]

والجامعـــة لغة : مؤنث الجامع ، وهو الاسم الذي يطلق على المؤسسة الثقافية التي تشتمل على معاهد التعليم العالي في أهم فروعه، كاللاهوت والفلسفة ،الطب والحقوق والهندسة والأدب.[4]

أما اصطلاحا فقد تعددت واختلفت تعار يف العلماء والمفكرين للجامعة فمنهم من يعرفها على أنها "كل أنواع الدراسات أو التكوين الموجه للبحث التي تتم بعد مرحلة الثانوية على مستوى مؤسسة جامعية أو تعليمية أخرى معترف بها كمؤسسات التعليم العالي من قبل السلطات الرسمية للدولة .[5]

وهناك من يعرفها على " أنها مؤسسة إنتاجية تعمل على اثراء المعارف وتطويرالتقنيات وتهيئة الكفاءات مستفيدة من التراكم العلمي الإنساني في مختلف المجالات العلمية ،الإدارية والتقنية .[6]

والبعض الأخر يعرفها " هي تلك المؤسسة التربوية التي تقدم لطلابها الحاصلين على شهادة الثانوية العامة وما يعادلها تعليما نظريا معرفيا ثقافيا يتبنى أسسا ادبولوجية وإنسانية يلازمه تدريب مهني ، يهدف إخراجهم إلى الحياة العامة كأفراد منتجين ، فضلا عن مساهمتها في معالجة القضايا الحيوية التي تظهر على فترات متفاوتة في المجتمع وتؤثر على تفاعلات هؤلاء الطلاب المختلفة .[7]

### ❖ التعليم العالي في الجزائر :

تعتبر جامعة الجزائر من أقدم الجامعات في الوطن العربي ، حيث أنشئت سنة 1877وأعيد تنظيمها في عام 1909، وهي الجامعة الوحيدة التي ورثتها الجزائر بعد الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي ، وقد كانت تضم 04 كليات هي :

- ✓ - الآداب والعلوم الإنسانية .
- ✓ - الحقوق والعلوم الاقتصادية .
- ✓ العلوم والفيزياء .
- ✓ الطب والصيدلة .

والواقع أن جامعة الجزائر نشأت كجامعة فرنسية لخدمة أبناء المعمرين في الجزائر وظلت حكرا عليهم إلا ماندر من أبناء لمتعاونين مع الاحتلال .

وقد تقرر عقب الاستقلال بسنوات قليلة إنشاء جامعات ومعاهد التعليم العالي موزعة على كافة ولايات البلاد .

❖ **دور الجامعة في خدمة المجتمع:**

برز هذا الدور بداية مع انتشار التعليم الجامعي في أمريكا متأثرا بالفلسفة البرجماتية، تلك الفلسفة التي تبلورت نتيجة مناخ فكرى واجتماعي وثقافي خاص بهذا المجتمع، ولقد ظهرت بوادر تأثير البرجماتية في التعليم الجامعي، في تقرير لجنة ماساشوستس التشريعية في هارفارد عام 1850، حيث جاء في هذا التقرير: لقد فشلت الكليات في التجاوب مع آمال وطموحات الناس في الولاية، فالكلية ينبغي أن تفتح أبوابها للأولاد الذين يبحثون عن تعليم محدد، لأغراض محددة يسعون إليها، إنها ينبغي أن توفر للناس التعليم العملي (التطبيقي) الذي يحتاجونه، وليس القراءات الكلاسيكية التي لا تناسب سوى الطبقات الارستقراطية ، إننا ينبغي أن نساعد الشباب لأن يكونوا فلاحين أو ميكانيكيين أو تجارا.[8]

والجامعة وفق هذا التوجه تحولت من كونها مركزا للبحث الحر للوصول إلى المعرفة والتدريس لنقل المعرفة – وهو ما أكد عليه في القرن الماضي جون نيومان Newman في كتابة فكرة الجامعة، ويدعو إليه في الوقت الحالي أكثر من باحث في التعليم الجامعي، ومنهم ياروسلاف بيلكان Yaroslavl Pelikan في كتابة فكرة الجامعة فحص جديد The idea of the University, a New Reexamination[9]، وألن بلوم Allan Bloom في كتابه انغلاق العقل الأمريكي The Closing of the American Mind[10] إلى جامعة متعددة الوظائف حسب المفهوم الذي صكه لها كلارك كير Klark Kerr، ومن ثم أصبحت الجامعات – كما يقول بارسونز Persons التنظيم الأم Mother Organization الذي يشكل كل المركب التنظيمي في المجتمع الحديث، مما يعنى أن الجامعة حدث لها تحول تنظيمي Institutionalization of University[11]، ويتضح هذا التحول التنظيمى فيما نراه من تطوير لهيكلها الإداري، حتى تستطيع التواصل بمرونة مع المجتمع المحلى، كما يتضح أيضا فيما أنشأته الجامعات من مراكز داخلها وخارجها لتسويق التعليم الجامعى، وفى تعدد مصادر تمويلها.

**المبحث الثاني : راهن الجامعة :**

**ترجع أسباب أزمة الجامعة المؤثرة إلى مجموعة من العوامل وهى:**

**1-سيطرة الدولة على الجامعة أدى إلى:**

- عدم السماح للجامعة بالانطلاق لمناقشة قضايا اجتماعية دقيقة ومحددة من خلال الميدان أو الواقع، مما جعل البحث الجامعي يأخذ الصفة الأكاديمية المطلقة، ويميل في معظمه للتنظير بعيدا عن مجريات الأحداث الواقعية، ويفقده هذا جانبا كبيرا من أهميته وجدواه.
- افتقاد الباحث الجامعي هوية مهنية قوية، كعضوية الروابط أو الجمعيات العلمية، تمكنه من الوصول المنظم إلى الميدان أو الحصول على تعاون السلطات، وحتى إذا وجدت مثل هذه الهيئات فإنها تعامل من قبل الدولة معاملة الجمعيات الخيرية وليس معاملة النقابات المهنية والتي تعطى نوع من الحماية لأعضائها.
- تزايد حدة الصراع الفكري داخل المجتمع الجامعي، ولعل الشكوى من وجود تيارات فكرية متصارعة تعتبر شكوى عامة في معظم إن لم يكن في كل المجتمعات الحالية، إلا أن الصراع الفكري عندنا ربما يأخذ صورة أعمق كما يشير زكي نجيب محمود[12]، ولهذا نجد المجتمع الأكاديمي في جامعتنا عبارة عن جماعات متنافرة علميا وفكريا، إلى درجة أن كل جماعة قد لا تقبل بالحوار مع الجماعات الأخرى. بل الأخطر أن بعض هذه الجماعات تتعالى في الرأي على الجماعات الأخرى، مما يجعلها لا تعترف بالنقد الموجه إليها من قبل الآخرين، ومن ثم تعمل في عزلة ويكون إنتاجها المعرفي موجها لأهداف أقرب للأحلام، واستجابة لادعاءات وإحساسات وليس حقائق، وهذا يفسر لنا وجود إنتاج معرفي، لا يبدو أنه ينتمي لعصر واحد، بل ينتمي لعصور تاريخية متباينة.

1- اغتراب كثير من الطلاب على العلم بمفهومه الحديث، وذلك نتيجة تقديمه بطريقة ومحتوى تؤدى إلى تزايد شكوكهم وأزمتهم الإيمانية، وتناقض وتلك المعتقدات والأفكار المكتسبة من خلال المؤسسات الأخرى وخاصة المؤسسات الدينية وهذا يظهر تأثيره:

- حيث نجد غالبية طلابنا وإن كانوا اكتسبوا من خلال تعليمهم الجامعي معرفة في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية فإنهم لم يكتسبوا إلى حد كبير القيم العلمية التي تجعلهم يؤمنون بهذه المعرفة، وبضرورة الانتفاع بها[13]، ومن ثم الإضافة إليها أو الإبداع في إطارها.
- نتيجة لهذا الاغتراب عن العلم والجهل في نفس الوقت بالتراث، تتزايد بين طلاب الكليات العملية والتي تركز على العلوم العصرية الغربية، تيارات التطرف باسم الدين أكثر مما نجده لدى طلاب الكليات الأخرى .

2- تزايد الفجوة بين أصحاب التخصصات في العلوم الطبيعية وواقعهم الاجتماعي يجعلهم في الواقع ليس لهم سوى طريق واحد لتأكيد شرعيتهم ومصداقيتهم كعلماء، وتمثل هذا في شهرتهم كمواطنين في جمهورية العلم Republic of Science وذلك على المستوى العالمي، والانتماء والمواطنة لهذه الجمهورية والتي تقع عواصمها وأهم مدنها في الحضارة الغربية، يمكنهم الحصول عليها عندما يتعاملون مع مشكلات وقضايا ذلك الجمهور العام لهذه الجمهورية. ومن أهم ما يؤكد على هذا عملية النشر العلمي للأبحاث في المؤتمرات والمجلات، فإذا أراد أصحاب التخصص نشر إنتاج علمي فيجب عليهم أن يتعاملوا بالقضايا والمشكلات. ويعالجوها بنفس المنطق والمنهجية التي تهتم بها وتتناولها مراكز البحث في العالم الغربي.

**خاتمة:**

**وإذ تؤكد الدراسة الحالية على أن خلاص الجامعة من أزمتها الراهنة يحتاج لمزيد من الدراسات والحوار والمناقشة، والتي ينبغي أن تنطلق من المسلمات الآتية:**

1- ن الجامعة كفكرة لا غنى عنها، فلقد أدت الجامعة دورها، وما ت، وإذا كانت الدول المتقدمة تمتلك العديد من المؤسسات والشركات التي يمكنها أن تعوض عجز الجامعة أو تقصيرها في أدائها لبعض الأدوار، بل أن هذه المؤسسات غير الجامعية والشركات كانت من الفاعلية بحيث أمكنها نقل مراكز الإبداع من داخل الجامعة إلى مراكزها هي- فإننا لم نصل بعد إلى امتلاك مثل هذه المؤسسات وما لدينا لا يعدو أن يكون وكالات لتلك المؤسسات والشركات متعددة الجنسيات والتي مركزها في الغرب.(*)

ومن ثم فنحن لا نمتلك إلا جامعاتنا من أجل الإبداع الوطني والتي عليها أن تتابع رسالتها الأساسية سواء في التدريس أو البحث وإنتاج المعرفة من أجل تنمية المجتمع وتطويره.

2- ينبغي أن نتخلص من وهم استقلال الجامعة عن المجتمع، ذلك الوهم الذي ترسخ لدينا من جامعات العصور الوسطى، فلقد ظهرت هذه الجامعات في مجتمعات يغلب عليها الطابع الريفي وتتسم بالوحدة الثقافية والهرمية في العلاقات الاجتماعية، كما كانت من الناحية الاقتصادية لا توفر سوى فوائض ضئيلة مما جعل الجامعة لا تعتمد كثيرا على سلطات المجتمع في التمويل بقدر ما تعتمد على طلابها.

ومن ثم ينبغي علينا ألا نقبل الجامعة كفكرة أو كمفهوم كما نجدها في الدول المتقدمة، كما لا ينبغي علينا ألا نلاحق أي إصلاحات أو تغييرات دون الالتفات إلى المبررات التي أدت إليها، ومن ثم فالتساؤل الرئيسي الذي نحتاج إلى الإجابة عنه من خلال إجراء العديد من الدراسات هو يتخلص في:

**ما نمط التعليم الجامعي الذي يحافظ على هويتنا و يمكننا مـــن:**

1- تحقيق خطة التنمية التي نطمح من خلالها إلى جعل أنفسنا محور الاهتمام والإبداع .
2- الحفاظ على الذاتية الحضارية للمجتمع مع الاتجاه للعولمة والتي تفرض علينا صراعا حضاريا وتنافسا اقتصاديا.

وفي ضوء واقع التعليم الجامعي الآن ترى الدراسة ما يلي:

1- إنشاء مشاريع للبحث وهو ما عملت الدولة على إنشائه مؤخرا ، تلك المشاريع البحثية التي يناط بها دراسة مشكلات قومية ذات أبعاد متعددة، وتحتاج لوجهات نظر المتخصصين في المجالات المعرفية الطبيعية والإنسانية والدينية، مثل هذه المراكز يمكن أن تحقق أكثر من هدف.
   - تقديم تصورات لها صفة الشمولية حول القضايا القومية.
   - التقريب بين المجالات المعرفية المختلفة الإنسانية والطبيعية والدينية.
2- تفعيل قنوات التواصل بين الجامعات والمؤسسات الصناعية والإنتاجية سواء التابعة للدولة أو القطاع الخاص، بهدف إيجاد بيئة مترابطة يمكن من خلالها صياغة وتنظيم سياسة علمية، تحقق احتياجاتنا المعرفية قدر الإمكان.
3- تشجيع عملية النشر العلمي وخاصة للبحوث في المجالات الطبيعية في الداخل، مع محاولة تكوين مدارس علمية داخل الكليات ومراكز البحوث ، كما ينبغي أن تسهم الجامعات في عملية تبسيط ونشر المعرفة العلمية لأبناء المجتمع خارج الجامعة، حتى نستطيع أن نصنع بيئة مناسبة للطلب الاجتماعي للعلم.
4- ينبغي التفكير في تفكيك الجامعات كبيرة العدد – وهو ماتم على مستوى جامعة الجزائر - ، ووضع حد أعلى من عدد الطلاب لايزيد قبول الجامعة عنه، حتى نحافظ على مستوى التعليم الجامعي، وتتمكن الجامعات من القيام بأدوارها الأخرى إلى جانب الدور التعليمي.

---

(*) اتفقت الشركات الأمريكية متعددة الجنسيات واحدا واربعون بليون دولار امريكى عام 1982 على البحث والتطوير، تم انفاق 91% منها فى الولايات المتحدة، واكثر قليلا من 8% من بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الأخرى، وأقل من 1% فى الدول النامية تلك الدول التى كانت مسئولة عن 20% من تلقى التكنولوجيا لصالح هذه الشركات.

**الهوامش والمصادر**


1. عبد السميع سيد احمد :" وضعية التعليم الجامعي والعالي في مصر "، : فاتن خليل البستاني(محرر):التعليم في لبلدان العربية – منتدى الفكر العربي – عمان – 1997 – ص ( 96-108) .
2. كمال الجنزورى : مصر والقرن الحادي والعشرين – كتاب الأهرام الاقتصادي – يناير 1997 .
3. محمد منير مرسي : لاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر ،ط 1 ،عالم الكتب ،القاهرة ،2002،ص09.
4. المنجد في اللغة والإعلام ، د م ، ط 21 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1986، ص 101.
5. محمد بوعشة ، أزمة التعليم العالي في الجزائر والعالم العربي ، ط1 ، دار الجبل ، بيروت ، 200،ص10.
6. فضيل دليو و آخرون ، المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة ، ط 1 ، مخبر علم الاجتماع والاتصال ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006 ، ص 79.
7. وفاء محمد البر ادعي ، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري ، ط1،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،2002،ص290.

8 - Ross, M.g. the university, The Anatomy of Academe , Op.Cit P. 45.

9 -Pelikan, Y. The idea of the University Re- examination, New Haven and London, Yale university , 1992.

10 -Bloom, A , The Closing of the American Mind , Simon and Schuster, N. Y , 1987.

11. عبد الله محمد عبد الرحمن : سوسيولوجيا التعليم الجامعي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – 1991 – ص ( 112) .
12. زكى نجيب محفوظ: مجتمع جديد أو الكارثة – دار الشروق – ط2، 1983، ص 332.
13. يوسف سيد محمود :" دور الجامعة فى تنمية القيم المرتبطة بالعلم لدى طلابها"– رسالة دكتوراه غير منشورة – معهد الدراسات والبحوث التربوية – جامعة القاهرة -1988 .